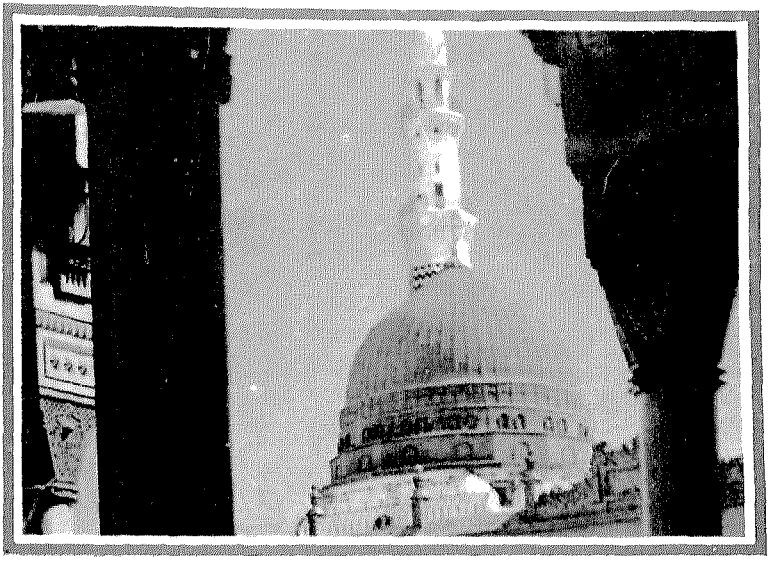

في رياض السيرة النبوية

العهد المدني

بقلم
الدكتور أحمد عمر هاشم

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

في رياض السيرة النبوية

العهد المدني

بقلم

الدكتور أحمد عمر هاشم

نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

تأسست سنة ١٩٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمـا بعـد

فهذا هو الجزء الثانى من كتابنا : (فى رياض السيرة النبوية) وهو عن العهد المدنى ، تناولت فيه أحداث هذا العهد ومافيه من وقائع وغزوات ، مستمدا مادته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ومن مراجع السيرة النبوية ، مركزا فيه على صحة الوقائع وتوثيق الأحاديث ، وبيان الدروس المستفادة داعيا الله تعالى أن تكون هذه السطور هداية ونورًا لكل قارئ ، وأن يشفّع فينا خاتم المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام .

رب اغفر لى ولوالدىّ وللمؤمنين ،

المؤلف

د. أحمد عمر هاشم

استقبال أهل المدينة للرسول (ﷺ)

لقد أخذت الرحلة ثمانية أيام ، وانتظر أهلُ المدينة رسولَ الله (ﷺ) فى لهفة وشوق ، ولما مرت الفترة اللازمة للرحلة ولم يصل بعد ازدادت لهفتهم ، وصاروا يصعدون الأماكن العالية وينظرون إلى بعيد ، حتى طال بهم الانتظار فرجعوا إلى بيوتهم ، فإذا رجل من اليهود يصيح على أطم بأعلى صوته : يا بنى قيلة هذا صاحبكم قد جاء ، فخرجوا ، فإذا رسول الله (ﷺ) وأصحابه الثلاثة ، وإذا الفرحة تسود الجميع ، وتصعد ذوات الخدود إلى أعلى المنازل وتنساب الغبطة من كل القلوب عازفة أجلى الأناشيد وأرقّها .

وكان رسول الله (ﷺ) ، قد نزل من قبل فى قباء عند عمرو بن عوف ، ومكث بها أربعة أيام ، أسّس فيها مسجد قباء الذى وصفه « الله » بقوله :

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[1]

وفى قباء لحق على بن أبى طالب (رضى الله عنه) برسول الله (ﷺ)

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

بعد أن قام برد الودائع إلى أهلها ، ودخل المدينة فى الموكب النبوى الشريف ، وخرج رسول الله (ﷺ) من قباء يوم الجمعة ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاَّها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وهى أول جمعة أدَّاها (ﷺ) بالمدينة . ومر الموكب النبوى ، وكلما مر على دار من دور الأنصار دعوه للنزول عندهم ، وأخذوا بزمام ناقته ، فيقول لهم : « **دَعُوهَا فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ** » وظلت الناقة سائرة حتى بركت أمام دار أبى أيوب الأنصارى وفى محلات أخواله بنى النجار ، فقال رسول الله (ﷺ) : « **هَهُنَا المنزِلُ إن شَاءَ الله**» وتلا قوله تعالى .

﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١)

فحمل أبو أيوب حمل رسول الله (ﷺ) ووضعه فى بيته ، وكان المكان الذى نزل فيه لسهل وسهيل ابنَى عمرو ، وهما يتيمان ، فاتخذ منه الرسول (ﷺ) مسجدًا بعد دفع العوض لصاحبيه .

---

(١) المؤمنون : ٢٩ .

المَسجِدُ النَّبَوى

منذ وصل الرسول (ﷺ) إلى المدينة ابتاع المكان الذى بركت فيه ناقته ، وكان مربدًا للتمر يملكه الغلامان (سهل وسهيل) فاشتراه وأبى أن يقبله هبة ، وأمر أن تُسَوَّى ما فيه من حفر ، ويُقطَعَ ما به من نخل وأُصْلِحَت أرضه ، وبدأ فى بناء المسجد من اللبن - الطوب الأخضر - وجانبا الباب من الحجارة ، وسقفه من الجريد ، وأعمدته من جذوع النخل ، وكان ارتفاعه لا يزيد عن قامة الإنسان إلاَّ اليسير ، واشترك معهم الرسول (ﷺ) فى البناء ، تقوية للروح المعنوية ، وبيانا لمنزلة المساجد ، وقيمة العمل وشرفه وكانوا يُروِّحون عن أنفسهم عناء العمل بترديد بعض الشعر قائلين :

اللَّهم لاَ عَيشَ إلاَّ عَيْش الآخِرَة
فَارحَمِ الأَنصَارَ وَالمهاجِرَة

ويرتجز بعضهم الشعر فى حماس حين يرى الرسول (ﷺ) يأبى أن يتميز على واحد منهم ، ويقوم بالعمل كواحد منهم يقول بعضهم :

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِىُّ يَعْمَلُ
لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ المضَلَّلُ

وكان المسجد أنئذٍ مرتكز الصلة الكبرى ، بين الخلق وخالقهم ففيه تؤدى الصلاة ويؤذن بالتوحيد . والصلة بين الأفراد والجماعات ، ومنه تنبثق مبادىء الصبر والمرحمة ، والأخلاق الرشيدة ، وكان المسجد بجانب ذلك ملتقى لجميع المسلمين ، تتم فيه مجالس الشورى ، والفصل فى القضايا وشئون التجارة ، وما إلى ذلك ، وقد جاء فى فضل المسجد النبوى أحاديث منها : ما روى فى الصحيحين عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَّ إلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِى هَذَا وَالْمسجِد الحَرَامِ وَمَسْجِدِ بَيْتِ المقْدِس** » ، كما روى أيضا : « **صَلاَةٌ فِى مَسْجِدى هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلاَّ المسْجِدَ الحرَامَ** » وقوله (ﷺ) : « **مَا بَيْنَ بَيْتِى ومِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِى عَلَى حَوضِى** » .

المـؤاخـــــاة

أما الخطوة التالية بعد ذلك فهى المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض وبينهم وبين الأنصار ، فالمهاجرون تركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم مقبلين على عقيدتهم ، مهاجرين فى سبيل «الله» ورسوله ، والأنصار تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا **وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ، ولقد أحس الأنصار بحاجة أخوانهم المهاجرين فآثروهم وآووهم ، وفضلوهم على أنفسهم ، مهما كانت حاجتهم ووصلت هذه المؤاخاة درجة أصبحوا بها يتوارثون بعد الممات ، إلى أن قال تعالى :

﴿ وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (١)

فرجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه . وقد أظهر الأنصار من ضروب السماحة والإخاء مع أخوانهم ما جعلهم أهلا لوصف القرآن لهم :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٢)

---

(١) الأنفال : ٧٥ .

(٢) الحشر : ٩ .

حتى لَيُرَوَى أن سعد بن الربيع وهو من الأنصار وقد آخى الرسول (ﷺ) بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ، كان أن شاطره ماله ، فأبى عبد الرحمن وسأل عن السوق وراح يشتغل بالتجارة فى سوق المدينة حتى نما ماله ، وهكذا رفض عبد الرحمن أن يعيش عالة على غيره ، وأبى إلا أن يأكل من عمل يده ، تمجيدا لشرف العمل ، وتقديرا لكرامة المسلم ، وهكذا ربط الرسول (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار حتى أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة بسبب هذه المؤاخاة ، ونسى الجميع كل الصلات الأخرى إلا هذه الصلة الجديدة حيث أصبحوا بنعمة «الله» إخوانا ، فلم يعد يظهر تعدد القبائل ، وما له من آثار الفُرقَةِ والاختلاف ، وإنما أصبح مجتمع المدينة مسلمين وغير مسلمين مجتمعا واحدًا. و لم يبق أمام الرسول (ﷺ) إلا خطوة واحدة، فيها تتحقق الوحدة الوطنية ، ويتم التحالف بين جميع سكان المدينة من المسلمين وغيرهم ، ويعطى لهم أروع الأمثلة ، وأنبل الدروس فى سماحة الإسلام وسمو مبادئه ، حتى يبصر أتباع الأديان الأخرى نور الدين الإسلامى ورحمته بالإنسانية كلها على أساس من حرية العقيدة ، فكانت المعاهدة التى أبرمها (ﷺ) بين المسلمين وغيرهم .

المُعَـاهَـــــدَة

أصبح سكان المدينة بعد الهجرة ، والمؤاخاة يمثلون ثلاثة أنواع :

١ - المسلمون .

٢ - اليهود من بنى النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع .

٣ - العرب الذين لم يعتنقوا الإسلام .

فأراد رسول الله (ﷺ) أن يوحد بينهم جميعا ، ويربط بين القلوب حتى تسود روح الإسلام وسماحته فعقد هذه المعاهدة وقامت بها أسمى المبادىء الإنسانية التى تكفل حقوق الناس جميعا ، من حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرمة المدينة ، ومحاربة الظلم والعدوان .. ومما عالجته هذه المعاهدة من مبادىء أن من حق الجماعة معاقبة المفسد ، وأن يتعاون سكان المدينة ، ويردوا أى عدوان يوجَّه إليهم ، وأن الرئاسة العامة تكون للرسول (ﷺ) ، كما نصَّت على جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، التى تقوم على أساسها دعائم المجتمع الإسلامى الجديد ، **تقوم السياسة فيه على الشورى** ، كما قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (١)

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢)

---

(١) آل عمران : ١٥٩ . (٢) الشورى : ٣٨ .

ودعائم اقتصادية تقضى بالتعاون الاقتصادى التام كما جاء فى الحديث **«مَا آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُه جَائِعٌ إلى جَنْبِهِ وهو يَعْلَمُ به»**[1] . **ودعائم اجتماعية تسود فيها المساواة بين الناس ، فلا فضل إلا بالتقوى .**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[2]

فكان ذلك نواة للدولة الإسلامية الكبرى التى ستكون خير أمة أخرجت للناس .

---

(١) رواه البزار والطبرانى

(٢) الحجرات : ١٣ .

دُرُوسٌ مِنَّ الهِجرَة

وقد أفاءت الهجرة النبوية على المحيط الإسلامى دروسا كريمة كان لها أكبر الأثر فى توجيه الحياة إلى الرشد والسداد ولما كان للهجرة أثرها الجليل فقد اتخذت مبدأ للتاريخ فقد كتب أبو موسى الأشعرى إلى عمر (رضى الله عنهما) : تأتِينَا مِنكَ كُتُبٌ لَيسَ لها تَارِيخٌ ، فجمع عمر (رضى الله عنه) الناس فقال بعضهم : **أَرِّخْ بِالمْبعث** ، وقال بعضهم : **أَرِّخْ بالهجرة** ، فقال عمر : **الهِجْرَةُ فَرَّقَتْ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ فَأَرِّخُوا بِهَا** .. وابتدأ التاريخ منها بالمحرم ، لأنه الشهر الذى ابتدأ فيه العزم والتصميم على الهجرة بعد البيعة وذلك فى المحرم .

إذًا فإن سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لم يقطع بالرأى من اتخاذ الهجرة مبدأ للتاريخ إلا بعد المشاورة وأخذ الآراء ، حتى قيل إن البعض أشار أن يكتب بتاريخ الروم فقيل : **إنَّ الرُّوَمَ يَطُولُ تَارِيُخهم يَكْتُبونَ مِن ذِى القَرنَينِ** ، وأشار البعض بتاريخ فارس فقيل : **إنَّ فَارِسَ كُلَّمَا قَامَ مُلِكٌ طَبَعَ مَن كَانَ قَبلَهُ** ، فاجتمع الرأى كما سبق على الهجرة .. ومعلوم أن للتاريخ أهمية عظيمة فى حياة الناس وبه تعرف مواليد الرواة ووفياتهم وبه يمكن الوقوف على صدق الرواة وعدمه ومعرفة الأعمار وما إلى ذلك من الفوائد . ولنمر سريعا على بقية دروس الهجرة المباركة ففيها تبصرة وعبرة لأولى الأبصار ، ولقد

كان من أهم الدروس التربوية : الفدائية ، والتضحية التى قام بها أعظم نفر مثلوا أروع نماذج المجتمع الإسلامى فى جهاده وفدائه وهؤلاء هم :

١ - **أبو بكر الصديق (رضى الله عنه)** الذى مثل رجولة الرجل والصديق .

٢ - **على بن أبى طالب (رضى الله عنه)** الذى ضرب مثلا بشبابه ظل أسوة على مر العصور لجميع الشباب .

٣ - **أسماء بنت أبى بكر (رضى الله عنها)** التى قامت بدور المرأة المسلمة ، وأدت واجب التضحية على أعظم ما يكون .

٤ - **عبد الله بن أبى بكر (رضى الله عنه)** الذى قام بدور الاستطلاع ، فجمع أخبار الأعداء وهى مهمة من أخطر ما يكون : إنها (المخابرات) فى أشرف قصد وأسمى غاية «لله» ولرسوله .

٥ - **عامر بن فهيرة (رضى الله عنه)** مولى أبى بكر الذى مثل الجندية الإسلامية فى أسمى معانيها وأدق صورها ، حيث قام بتوفير الأمان ، فرعى غنم الصديق ليروح إلى الغار فى الليل ليأخذا حاجتهما منها ، وليعفى بالغنم آثار المشى إلى الغار فيضل عنهما الأعداء .

ومن دروس الهجرة كذلك الثقة بـ «الله» وصدق الإيمان به ،

وما له من أثر فى حياة المسلم يجعله لا يخشى إلا «الله» كما قال (ﷺ) لأبى بكر حين قال له : **لَوَ نَظَرَ أَحدُهُم إلى مَوضِعِ قَدَميهِ لَرَآنا** قال : «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا ، لاَ تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا** » وكذلك كان من تعاليم الهجرة بيان ثمرة الصبر ، وأن مع العسر يسرا ، وفضيلة الأنصار وإيثارهم لإخوانهم من المهاجرين نتيجة مؤاخاة الرسول (ﷺ) بينهم فأثمرت هذه المؤاخاة معانى إسلامية رائعة وكونت مجتمعا مؤمنا يشرق بمكارم الأخلاق .

فـى الهِجـرَةِ نَصـرٌ وَفَتـح

ولقد وضح «الله» تعالى أنه مع رسوله (ﷺ) بالنصر والتأييد إن لم ينصروه فسينصره « الله » الذى نصره من قبل فى وقت أشد من هذا وذلك عندما تسبب الذين كفروا فى خروجه فأذن «الله» تعالى له حين هموا بإخراجه وائتمروا عليه وقرروا أن يتخلصوا منه فأطلعه « الله » على مؤامرتهم وأوحى إليه بالخروج هو وأبو بكر الصديق دون جيش أو سلاح ، وكان القوم على أثرهما ، وأبو بكر يخشى على رسول الله (ﷺ) ويقول : **لَو نَظَر أَحَدُهُم إلى مَوضِعِ قَدَمَيهِ لأَبصَرَنا** .. وقد أنزل «الله» سكينة على قلب رسوله (ﷺ) فقال : **«يا أبا بكر مَا ظنُّكَ باثنينِ الله ثَالِثِهما لاَ تَحزن .. إنَّ الله مَعَنَا»** فكان النصر المؤزر بجنود من عند «الله» تعالى لم يرها الناس وكانت الهزيمة للكافرين بالذلة والصغار ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة «الله» عالية منتصرة قوية والله عزيز يعز أولياءه فلا يذلون حكيم يقدر النصر فى جنبه **وَأَيَّدَهُ بجُنودٍ لَم يَرَهَا أَعداؤُهُ مِنَ الكُفَّارِ** وهم الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وقيل هم الملائكة أنزلهم «الله» ليحرسوه فى الغار لذا كان حديث القرآن عن الهجرة حديث النصر :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1]

وإن حادث الهجرة النبوية لمن أروع الأحداث الشاهقة فى تاريخ الإسلام فقد انتصرت به أمة وفتحت له دنيا ، وتواكبت على مساره أجيال ولئن حفت به مخاطر مهولة وتلاحقت عبر أيامه ظلمات جامدة فقد كانت بوارق الأمل تشرق فوق صحراء الزمن وتنبثق بين صخور الظلام رافعة شعارها الأخضر : **لاَ تَحزَن إنَّ «الله» مَعنَا** . ولقد عاشت الدعوة الإسلامية فترة ما قبل الهجرة على أشواك من الحياة الجافة تحيط بها ضلالة الوثنية الرعناء وجهالة الشرك العنيد ، وانطلقت من هذه الظلمات المتراكمة عداوات وإحن ، أخذت طريقها فى مطاردة الدعوة والداعية ، ومحاولة الإجهاز عليهما فى وقت واحد ، واتخذت قريش كل ألوان الأذى والعنت لتصرف الناس عن هذه الدعوة وتطفىء نورها بينهم ، وذاق المستضعفون من هذا الاضطهاد ما ذاقوا إلا أنهم كانوا يستعذبون العذاب فى سبيل «الله» وكلهم يقين وثقة أن ليل التآمر والغدر لابد أن يسفر عن نصر قريب فكان المؤمنون متمثلين قول ربهم سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا

---

(١) التوبة : ٤٠ .

يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ (١)

ولقد بث الرسول (ﷺ) فى أصحابه روح الإيمان ، والصبر فى الأزمات يقول خباب بن الأرت : شكونا إلى الرسول (ﷺ) وهو متوسِّد برده فى ظل الكعبة فقلنا له : **أَلاَ تَستَنصِرُ لَنَا ؟** فقال عليه الصلاة والسلام : **كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُم يُحْفَرُ لَهُ فِى الأَرْضِ فَيُجَاءُ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَ «اللهِ» لِيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوت لاَ يَخَافُ إلاَّ «اللهَ» عَزَّ وَجَلَّ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنكُمْ تَستَعْجِلُونَ .**

هذا والهجرة فى مفهومها الصحيح لم تكن فرارا ضعيفا من مطاردة المشركين لتختفى الدعوة وأصحابها عن تلك العيون المحدقة ، وإنما كانت انتقالا ببذور الدعوة إلى تربة صالحة يخرج نباتها بإذن ربه ، واتجاها إلى مناخ ملائم تترعرع فيه لتؤتى أكلها كل حين .

والحرب النفسية والمادية التى شنها أعداء الإسلام على الدعوة لم يكن القصد منها القضاء فقط على الداعية والمؤمنين التابعين له ، وإنما

---

(١) البقرة : ٢١٤ .